

فوزي كريم



آخر العجبر



مكتبة
الفكر
الجديد

آخر الفجر



Author: Fawzi Karim
Title: The Last Gypsies
Al- Mada P.C.
First Edition : 2005
Copyright © Al- Mada

المؤلف : فوزي كريم
عنوان الكتاب : آخر الغجر
الناشر : المدى
الطبعة الأولى : ٢٠٠٥
الحقوق محفوظة

دار مدا للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص.ب. : ٨٧٢ او ٧٦٦ - تلفون : ٢٢٢٢٢٧٥ - ٢٢٢٢٢٧٦ - فاكس : ٢٢٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور - الطابق الأول - تلفاكس : ٧٥٢٦١٧ - ٧٥٢٦١٦

E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد - ابو نواس - محلة ١٠٢ - زقاق ١٢ - بناه ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير

E-mail:almada112@yahoo.com

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

فوزي كريم

آخر الفجر

شعر

٥١

•

الذنب

لو أن كل ضحية تنبيك عمّن أسهموا في القتل
كانوا كالحصى عداً!
والموج يضرب منذ آلاف السنين
على حصاة لا تلين!

هل اقررت الذنب؟
بضعة أحرف نبتت على شفتي كالاشواك .
بضعة أنجم سقطت ، ولم آبه ،
وتلك نبوءة الأفلاك .
سحر بحيرة غرقت بها الأجيال ،
جيلاً بعد جيل ،
ثم لم أفتح فما لأقول :
أكثر من ذراع لوحث للإستغانة!

لم أقل للمنشدين على سواحلها :
طمرتم صرخة الموتى بما احتالت حناجركم ،
وبالرايات أخفيتم مراقدهم عن الأنظار!

لو أن كل ضحية تُنبيك عن تاريخها ،
أترى ستكتب شعرك المأخوذ بالرايات ،
والذات المطرزة الحواف بصفرة النرجس؟
وتغض طرفك ، باسم نجمتك البعيدة ،
عن دماء أخيك ،

تُفسد كأسك المونس؟

لو أن كل ضحية تُنبيك عمّن أسهموا في القتل ،
من يدري؟
لعل ملامح الوجه المقاتل فيك أقرب قاتليها .. !

ورقٌ مدعوكُ لقصائدٍ لم تُنجز

اكتشفُ بكل معادلةٍ خطأً ،
أو هفوةً عقلٍ لا تُسمع .
وبكل تنهدةٍ شائبةٍ كراهيةٍ
لا أعرفُ كيف أواربها
عن عينٍ أخى الإنسان!

لكنُ لحزني طعمَ ربيعٍ عابرٍ ،
أشعره أحياناً في سوقِ الخضِرِ ،
أو عندَ ملاحقةٍ امرأةٍ ،
أو إذ أنفردُ وحيداً بكتابٍ .

وكثيراً ما أشعره في بُعدين :
الماضي والحاضر .

والبعدُ الثالثُ طريقةُ بابٍ
في منتصفِ الليلِ ! .

فتيانَ الساحلِ ، يا فتیانَ الساحلِ :
أتأملُ في مشهدكم ، بين الموجِ وبين الكاحلِ
أشرطةً من ذهبٍ لمغيبِ الشمسِ
تتعقدُ صفائرَ بينهما .
وأنا أصغي لهما ،
أصغي لهما .

.. ٢/١/٢

ضغائنُ الناس

إنَّ قلبي خالٍ من الحب ، يا ربَّ
وهذي ضغائنُ الناس تسعى ،
مثلما تنشدُ السلاحفُ ماء البحر .
هلْ أرتضيك أنتَ ملاذاً؟
فبساطي رملٌ ، ومتكأي ملحٌ ،
وبيتي مما تحوِّكُ العناكبُ .
أمُّ البَيِّ نداءَ ربٍّ سواكا
في خلايا دمي ، التي تتعرَّى
كلُّ فجرٍ للشمس .
لكنَّ فجراً
آخرًا يستعيدها لسماذِ الأرض؟

لاني خالٍ من الحبِّ يا رب ،
فمرأى جلدي كمرأى لِحاءٍ ،
ومذاقي أمرّ من أنْ أواري ،
وغدي بعدُ في غشاءِ جنينٍ
أسقطته الأيام .

أحببتُ ، أحببتُ ولكن!

٢٠٠٢/٢/١٤

آخرُ الفجر

علانا المشيب .

ولم تعدُّ الريحُ ترعى ضفائرنا .

وأفراسنا سمُنت .

ومراقدُ من ماتَ صارتُ مزارا!

كلما فاجأتنا رياحُ الهضاب

أصتتنا ، كأننا عظامٌ مجوفةٌ .

ليس يجرؤُ ذئبٌ على سحنةِ الليلِ فينا .

ولا الشمسُ تدخلُ أبارنا . غيرَ أنا ،

بذاتِ التواترِ ، لمْ تُبطلِ النسلِ .

أيها المتحاشون منا اقتربا
خففوا وطأة الحذر .
قد ترونَ مرابعتنا ظللاً وهياكلَ .
لسنا ضحايا وباءٍ مضى ،
ووقودِ حروبٍ جرتُ ،
بلُ مرابعا لكم .

نقطعُ الشوطَ لا نقتفي أثرا ،
أو نحاولُ مجداً وراءَ الخرائبِ مندثرا ،
ولنا أملٌ أن نحاوركم ،
أن نحاورَ فيكم فمأ لا يكفُ عن الإبتهالِ ،
ودمأ يتطلُّعُ للشمس ، يرقبُ خيطَ الزوالِ
في استدارتها حين تغربُ!

هذا سبيلُ الرجوع ،
أيها الساكنون
جسدا زائلاً ، مثقلاً بمذاقِ الدموع .

٢٠٠٢/٤/٢٤

•

لا تَعِدِ النَّفْسَ

لا تَعِدِ النَّفْسَ بما لا ترى
من نِعَم ، إلا على راحتك . .
فأنتَ يا هذا مدينٌ ، ولنُ
تعرف ، ما عشت ، من الدائن .
الربُّ؟ أم هذه الأرضُ التي تأكلُ أبناءها؟
أم كائنٌ فيك يعزبك في مخاضة التاريخ بالأسئلة؟

أبيتَ أم شئتَ ، ستمضي الى
"مرتفع التل" وحيداً ، ومن
مرتفع التل ستلقي على
المدينةِ الزائلةِ
نظرتك العاجلة!

٢٠٠٢/٤/١٥

٢

تمضي الرسائل

لم أكتبُ وحدي الرسائلَ في كلِّ شهرٍ؟
أحاولُ أن أستجيبَ لصمتكِ .
إذ أدعي أن صمتكِ أبلغُ مما أحاول .

في كلِّ شهرٍ أضُمُّ إلى اسمكِ في أولِ السطرِ ما أشتهي من
خصالكِ :

سيدةُ الشوقِ ، والياسمينِ ، وقداحِ سورِ الحدائقِ .
حتى إذا ما تندتِ زجاجةُ نافذتي من بخارِ فمِ ، قلتُ :
أنفاسُ سيدةِ الشوقِ؟
لكنه الليلُ ، أنفاسُ ريحٍ من الليلِ باردةٌ .
ثمَّ أنهى الرسالةَ .

بعد ثلاثين يوماً أحاولُ أن أستجيبَ لصمتكِ ثانيةً .
أدعي أن صمتكِ أبلغُ مما أحاولُ .

تمضي الرسائلُ من طرفٍ واحدٍ .
ويواصلُ صمتُكٍ من طرفٍ ،
وتراوحُ بينهما دورةُ الأرض ،
والشمسِ .
حتى التواريخ تُكتبُ باسمهما ،
وتدولُ الدول!

٢٠٠٢/٥/٤

قد يعبرُ جنديُّ

عشراتُ جنودٍ بلثامٍ ، يلجون مراثينا ، كهواء بارد
في كهفٍ . هم يلجون مراثينا بلثامٍ .
شعثاً ، صدئين بفعل الزمن ، عراة الأقدام!
نسجوا تاريخاً مثل شباك الصيد ،
تهراً بالماء الراكذ .
والصدأ ، تأمل خضرته ، وخشونة ملمسه الخالذ ،
يعلو أطراف أصابعهم ومرافقهم!

بيتي تسكنه اللحظاتُ

في هيئةِ كتبٍ ، أوراقٍ ، لوحاتٍ

تنتفض بفعل اللمسة! أحياناً

قد تُقبلُ ريحاً! أحياناً

قد يعبرُ جنديُّ!

٢٠٠٢/٢/١٥

✦

في القبو المعتم

ما من قطراتٍ ندى في اللمس .

بل عرقٌ يقطر بين الجلد وبين ردائي ،

ثم يجفُّ بفعل الشمس!

أيامٌ صباي ،

أيتها المدنُ الضاربةُ الشرسة ،

أعرضها بين يديك على طبقٍ

دام .

ما من عامٍ

إلا وانتظم كسنٌ في العجلات المسنونات المفترسة

في القبو الأعظم .

يقضم إذ يلتحم ،

... وأصغي ، ثم أحمّن :

ضربةُ إبهامٍ

في وترٍ قبضة أحلامٍ
خائبة تمسك بخناق التاريخ؟!
أو وقع حذاءي حربٍ رطبين على جادة

Hill Rise

أسمعها تطبق ، في منتصف الليل
على آخر كورال القدّاس؟!!

قطرات دم في الشفة بفعل جفاف الريح .
وامرأة ترقب ما في الشفة ولا تهمل .
بوشاح أزرق تُقبلُ وتقبلُ!
وتغيبُ
كرمال كثيب!

ما أوسع هذه الدنيا في عين الأمل .
ما أضيقها في عين المتأمل!

٢٠٠٢/٥/١٥

ليلة عرس

بمحض الإشارة جاءت
وراء السياج المهتم ، مدت ذراعا ،
تعرت الى النصف
- أحسستُ هذا بفعل ابتعاد التلامس -
ولت سِراعا .

ووحدي بقيتُ أداعبُ جذع النخيلة ،
حتى تجرّح عضوي .

مضت ليلة العرس : عشرون متراً مُضاءً
يقاومُ بحراً محيطاً من الظلمات .
ورائحة الخمر تثقلُ فوق السفينة كالموج ،
حتى ليوشك صوتُ المغني يكون نديراً ،
وفي نصف إغفاءة تتراءى على عينه الناعسة!

غادرَ المحتفون .

وأنا ، ملء دشداشتي ، في الزقاق الى البيت أعدو ،

وأخفى وأبلو ،

شراعٌ يحاولُ أن يبلغَ اليابسة .

قارئ في الظلام

أنت تحرص في ساعة النوم أن تُطفىء الضوء ،
أن تتأكد باللمس من قفل بابك ،
من أن نافذة البيت مسللة الستر .
تقفز كالقط فوق السلالم ،
تندس تحت الفراش ،
وتحلم :

أن الكتاب الذي كنت تقرأه فوق مقعدك
الآن يُفتحُ ثانيةً في الظلام ،
وأصابع أخرى تقلب أوراقه .
أن عيناً تُديم النظر
في الفراغ المدوم بين السطور!

٢٠٠٢/٦/٢

تراكمت على ردائي

تراكمت على ردائي محنُ الماضي ،
وما تهرأ الرداء .

لأن كل ما ارتكبته من الأخطاء
صارَ من الرقة خيطاً في نسيجه
لذا فإني شاعرٌ أرقُ من مدينةٍ محاصرة ،
ولي فمٌ بلون قطعةِ الجليد
يقطرُ حرفاً ، ثم إذ يجمد ذاك الحرفُ في الهواء
يقطرُ آخراً ، فلا تلتحمُ الأحرف ...

أقولُ للشواهد التي على امتداد بصري :
إنتشري ، إنتشري .

فحيث تُلقين من الظلالِ فهو حقلي ! وأنا
مشرّدٌ في حقلِ حكمتي ، وقد
أتلف حكمتي الجرأداً

أقول للأرض التي هجرتها :
يا أرضُ ، يا سيئةَ الطالع ، يا منفضةَ الرماد ،
تقبلي واحتضني وليدك ، الذي إليك عاد ،
فهو مدينٌ لك ، ما عاش ، بهذا القدم العاثر .

٢٠٠٢/٧/٢٠

الدورة الدامية

أعوفُ مدينتي لكموا ،
وأخرجُ هارباً بدمي .
فكمُ أدمت ثيابكمُ الشعائرُ والطقوسُ!
وها أنتمُ ، على عجلٍ
تعيدون القتيلَ بهيئةَ القاتلِ .
وما أن تنضجَ الثمراتُ حتى يكثرَ القتلى
بهيئةَ قاتلين!
وإذ يحين قطافُهم يُستبدلونَ بهيئةَ القتلى!
بذا تقضي الفصولُ ، تعيدُ دورتها ، ولا تبلى!

٢٠٠٢/٩/٥

→

خلوة ١

أظلهما قد انعكسا على السقفِ ،
بفعلِ إضاءةٍ من حرقَةِ الجسدين؟
أصوتُ مؤذنٍ في الفجرِ خالطِ فيهما النفسا ،
فحاراً فيه واحترسا؟
أعن حبِّ ، أعن بغضٍ ، تحاشا أن يكونا اثنين؟
أعن أمنٍ ، أعن خوفٍ؟

٢٠٠٢/١١/١٥

•

رأيتُ مدينتي

رأيتُ مدينتي في عينه فتبعتهُ خطوتهُ الى المقهى .
له ما للمشاة من التعجّلِ ، حيثُ لا هدفُ
سوى كرسيه ، والشاي ، والنرجيلة الأشهى ،
ومسبحةٍ يعدُّ خسائر الأيام
بخرزتها ، مع السبابةِ المرخاةِ والإبهامِ .
وكان الليلُ يبدأ عادةً بوميض لؤلؤةٍ
بجبهةِ قاسيون .
وقفتُ أرقب كيف تغرق في الضياء مدينتي ، وأنا
أحاول دونها مدنا .
كأنني شاعرٌ يرنو الى طللٍ ،
وأدغالٍ بالآفِ الجنادب وهي تصرخُ

٢٠٠٢/١١/١

خلوة ٢

أحببتُ في شفتك
طعمَ الدموعِ المستساغِ!
وهمتُ أن أرخي على كتفك
كفي ، ولكنني خشيت بأن تحطُّ على فراغِ!
من أنتِ؟
غايةُ رغبتني في الحب؟
واحدةٌ من العشراتِ؟

عند الفجرِ يُطفأ قاسيون بشدة الأمطار .
تبتلُ الحقيبةُ . قطةٌ تبتلُ بالفضلاتِ .
أحشرُ جثتي في المقعد الخلفي ، أسمعني أقولُ :
الى المطارِ . . الى المطارِ .

٢٠٠٢/١١/١٢

نديمُ الجليد

ندماي كثيرُونَ . من بينهم أصطفي زائراً ،
قد يكون فتىً ، أو مُسنأً .
به من ملامحِ بحارةِ القطبِ ما بي .
يميلُ الى الصمتِ .
إذ يبدأونَ مسراتهم مع آخرِ نخبِ ، نكونُ انتهينا ،
أنا ونديمُ الجليدِ الذي في يدينا .
أقولُ له ما يقولُ ، كأنا نكررُ بعضاً .
وتعصفُ ريحٌ ، وينهلُ ثلجٌ ،
ويعلوا البياضُ على الندماءُ .
على أنتي والذي أصطفيه نلوحُ عمودي ضياءُ
في ظلامٍ به من ملامحِ بحارةِ القطبِ ما به .

٢٠٠٢/١١/٢٠

→

مغامرة

في غرفته الشاحبة الضوء
يسحب نظارته من كمّ رداثه ،
كالساحر يُخرج مرآة لقراءة أعدائه .
يلقيها فوق الأنفِ المحمر ،
ويدسُّ به كسفينة قرصان
في بحر قصائده المهتاج .
وبصوت عالٍ يقرأ للحيطان
ما تكشفُ عنه الأمواج
من مخارٍ ، وبقايا غرقى ، ودنان
لخمورٍ لم تعرف ضوءاً .
عاقرها يوماً ، دون الناس
شاعرُها العذبُ أبو نواس .

٢٠٠٢/١١/٢١

الى بدر شاكر السياب

حين عريتَ جرحكَ بدرُ ، وضمدتَ جرحاً سواه
هدمَ السورُ بينك ، بدرُ ، وبين الإله!
وأنا ، منذ عريتُ هذا الجسدُ
في الولادةِ ، لم أحتملُ
حرقةَ الشمس في وطني ،
وجليدَ المنافي الغربية .
ولذا ظلُّ بيني وبين إلهك يا بدرُ
ظلُّ احتراسٍ وريبة!

أنا شاعرٌ ،

وإذا كنتُ ، من يختبر قدرتي
في احتمال الخسارة واليأس؟
تضحيتي حفةً من قصائد أندبُ موتاي فيها .

وعلى كاهلي يقفُ النسرُ أحذبَ ،
أوهنه الطيرانُ بلا هدفٍ .
ولذا ،
أي سورٍ سيهدمُ يا بدر؟!

٢٠٠٢/١١/٢٧

رسمُ الحصري

أحاولُ رسمَ الحصري بفرشاةٍ زيتٍ وحيدة ،
وبضعةٍ ألوان :

أولها لونُ جبهته ، وهي أكثر ألوانه ألفةً .
ثم عتمةٌ معطفه ،

حيث يعلوا على أفقها طائرٌ أسودٌ
بجناحين كشين .

كنت أحاولُ أن أستعين

بالوان خمرته كي تضيءَ

بعينه نافذتين ، وأرنبةً الأنف!

لكن خمرته داخل الكأس مغلقةً اللون ، لم تستجبُ

لفرشاةٍ زيتٍ وحيدة ،

وبضعةٍ ألوان .

إنني أحاول هذا ليومين ،

لكن معطفه يسع الأفق

خلفته معتما

بجناحين كثيرين لا يهدآن .

وأطفأتُ ضوء المكان .

٢٠٠٢/١٢/١

في انتظار الأعداء

في الليل
انتظر مجيء الأعداء .
أكتشف ضياع الوقت
من بين أصابع كفي .

منذ سنين
والساعة لا تتردد في وقع خطاها البلهاء!
وأنا أتمثل خطوتها في نبض وريدي فأجن .
والوذ ، كأبي عراقي ، بالخمرة . من
يربكني ، يربك هذا الرتل من الأحياء
في جسدي نحو الهوة ، غير مجيء الأعداء؟

٢٠٠٣/١/١٤

الغزاة

في الليلِ أطفئُ كلَّ ضوءٍ ،
أترك الشباكَ دون ستارةٍ ،
وأشرعُ الأبوابَ .

إنني أعرّضُ للغزاةِ خرائبي :
كتباً ، ومحبرةً ، وأشباحاً تبادلُ بينها الأَنخابُ .
وأجرُّ ذيلَ ردائي المللكي ،
تتبعني التماعاتُ النجومِ على السلاالمِ ،
دون حراسٍ ولا حُجَّابٍ .
أرقى ، فينكشفُ الحجابُ .

اختارُ من شبكِ المجرّةِ ما يطاوعُنِي
لكيْ أُنْفِي
بظلمةِ ليلها الجذّابِ .

٢٠٠٣/١/١٥

في المحطة

تحت وقع المطر ،
ورائحة الخشب الرطب ،
ما كان متسعاً للمسافر ، بين لفافة تبغٍ وأخرى ،
سوى

أن يعيد النظر
في احتمالين : أن ينحني لرياح القدر
ويعيد الحقيبة للبيت ،
أو في احتمال السفر!

٢٠٠٣/٥/١٦

٢

العودة

يعود إلى ما توهمه الآن بيتاً ، وخماراً ، ورصيفاً .
يقول لمن كان حياً ،

وأصبح في مسرح الظلّ طيفاً خفيفاً :
لقد عدتُ !

- بين احتمالين : قد يبرأ المرء أو يُبتلى !

- أه من حكمةٍ لم تزنْ ثقلَ موتك !

- معنى حياتك في أن تُبرأ مما أصابك ، أم في
ابتلائك؟

: ما الشعرُ ، قلْ لي؟

لماذا يحاوله منذ عادَ ، ويأبى على المنشدين ؟!

٢٠٠٣/٥/١٨

→

الإقامة

تعلم من نار موقدها كيف يدفأ .
من ماء قُلتها كيف يُروى .
تعلم منها ،
بفعل انطفاء المصابيح في عينها ،
أن يرى في الظلام .
تعلم كيف يحيط محارته بالرعاية ،
بنفس طريقته في إحاطة حكمتها بنسيج الكلام ،
لكي لا يضيع صدى بحر غربته!
سيحلوه في الإقامة أمران : حاضرهما ، ووساطة ماضيه .
بينهما سوف يهدأ .

٢٠٠٣/٦/٧

محترفُ الأنفاق

أنا محترفُ الأنفاق ،

سأعودُ إليهم .

أختبرُ طريقَ مخاوفِهم بما يرثون .

سأحيطُ أياديهم بيديّ فلا يثقون!

لكن سأراهن .

سألبي رغبتهم ، في البدء ، بفصلِ الميتِ عن الحي

في الواحدِ منهم . ثم أعيدُ الحيّ الى ماءٍ سيكونُ ،

والميتَ الى ماءٍ ساكنٍ .

وسأدفنُ وجهيَ في نفقِ الموتى ،

وأرتلُ فيهم مرثيتي ، بيتاً بيتاً!

٢٠٠٣/٦/٧

بقالية الرسائل المنسية

وأنتَ ، يا صاحبَ بقاليّةِ الرسائلِ المنسية ،
ومخزنِ الكافورِ ، والمحظورِ من قوائمِ القتلى ،
ألم يعد إليك جنديٌّ ، ومجهولٌ بلا هوية؟
وفاقدٌ في السرِّ أذنًا وفما ،
وسائلٌ ، دون ذراعين ، عن الماضي الذي
عانقه يوماً ، وولّى بهيما؟
صيادُ أسماكٍ على راحته
يعيدُ مجرى مائه الذي طما
يوماً ، فما أغرق غير زورقه؟

سيزهرُ التوتُ ، ويحلو التمرُ ،
والنارنجُ يستلقي على أسوار بيت الجارِ ،
كالأقمارِ ،

والفُجْلُ الذي في قبضةِ الآباءِ في عودتهم عصراً
سينحلُّ إزارُ امرأةٍ الحيِّ وتُشفى عِللُ الشبانِ .
ما أروعَ هذا الصيفِ؟

٢٠٠٣/٦/٨

رائحةُ التوت

من منا ينتسبُ لبعضٍ :
هل أنتِ ، بهذا الوجهِ المتغصّنِ؟
أم نحنُ ، رعاةِ طريقِ اللاعودة؟
أم أنَ كلينا ، يا بغدادُ
ينتسبُ الى الجلاذُ؟

رائحةُ التوتِ على أرداني ما زالت ،
لكن التوتَ تلاشى! والأسماكُ
ما عادت تخترقُ التيارَ .
بل صاروا ينحدرانِ معا للبحر
كما تنحدرُ الأنهارُ!
من يكسبُ قوتَ غدٍ
من ذاكرةٍ تُخصبُ تربتها الجثثُ؟
ومن ينتصرُ على حاضره بعضا الترحالُ؟

ما بينَ العالمِ كابوساً
والعالمِ ماءً وظلالاً
تنفردُ قصائدُنا ،
كحدودِ دفاعٍ من أسلاكِ شائكةٍ

٢٠٠٣/٦/٩

رؤيا داود البلوة

تلاشوا جميعاً :

علي بن ، كسكين ، بعرورة ، وأبو غلص .

سدة ناصر ، شكرية العرصة ،

وحمارة يوسف ، حندش ، فنفن ،

حمزة الاخرس ، بعرورة ،

وأبو نخرة ،

وعليان ،

طيزان ،

قنبر ، قرش أبي قرش ،

علوان الأسود ، عربيد ، حربية ،

كركات كريم العبيد ،

عباس عكبي ،

وبابل ،

قرْداش ،
وابنُ الأجم ،
تنفّس ،
عَفِي ،
ودبَابَةٌ ،
وبليح ،
وبلسي ،
وصونَةٌ . . . !

ما منْ أحدٌ
سيسعى لرائحةِ الطلحِ مكثراً :
" زَبَرُوا النخلَ ، هذا أوانُ اللقاحِ ! " .

وداودُ هذا الصباخُ
يلحُّ على أذنِ عبدونِ بالهمسِ :

" شرُّ البليَّة ما يُضحكُ!
أُتعرَّفُ ، عبدونُ ، أني نبيُّ ، وأسمعُ صوتا
يلحُّ عليَّ : " أنْ ارعَ " . ولستُ براعٍ
" ستُبعثُ قطعانُ موتى
وتملأُ حقلكُ " . في عينِ عقلي
رأيتُ قطيعيَ أشلاءَ قتلى بأكياس قنَّب!
وها أنا أضحكُ ، عبدون ، أبكي ، وأعجبُ!

٢٠٠٣/٦/١٩

عند باب كاردينيا

عند الباب المغلق من واجهة كاردينيا
رجلٌ ، بقيافة كهلٍ متقاعد ،
ينتظر . أنا الآخر ،
بقيافة كهلٍ عاد من المنفى توأ ،
قرفصتُ على بُعد ذراعين
منه ، ولم أمهله : "أتعرفُ موعدَها؟"

"خمارة كاردينيا كانت

مرتادي قبل الحرب ، ولي فيها
زاويةً وندامى . بعد الحرب طواها النسيانُ .
وأنا أرتاد مكاني هذا منذ زمان ،
أنتظرُ الموعدَ" .

مدّ يدا بلفافةٍ تبغٍ ، ثم مددتُ يدا .
وانتشر دخانُ حجبِ الناسِ
عن رؤيةِ رجلينِ أقاما
عند البابِ المغلقِ ، فوقَ رصيفِ "أبي نواس" .

٢٠٠٣/٧/١٢

الرأسُ ملاذُ الطيرِ

في زمنٍ آخر ،
لا يعتاشُ به الإنسانُ على أحزانِ الغيرِ .
والقدمُ المُثقلُ لا يُنقله إلا وهمُ السيرِ
من غير هُدى .

نائحةٌ أثقلت الأشجارُ
بشمارٍ ، لا يقربها حتى تنضجَ ، أهلُ الدارِ .
وإذا ما حان قطافُ
لا يأكلها إلا العائدُ من منفاه المختارِ .

وأنا العائد ،
جنديٌّ يمسك في راحته حفنةَ تذكّارِ
لا يحسن حتى منعَ تسربها
من ثقبٍ في راحته .

في كلِّ عمودٍ من أعمدة الضوء بكورنيش أبي نؤاس
سأقيم لكلِّ منكم شاهدةً يا ندمائي ،
وعليها أكتب ، دونكمُ ، سرُّ بقائي .

٢٠٠٣/٧/٣١

لَمَ الْهَمُّ يَا شَعْبُ!

يلوحُ فمي من وراءِ الزجاجِ
كأن فمي ناطقٌ قدرا!
وفمي إذ يلوحُ ، يلوحُ وقد طرزته ظلالُ الشجرِ
وبضعُ شظايا تناثرُ من قطراتِ المطرِ!

كذلك موتي ، الذي هو صنو الحياة ،
يداعب بي وترا ،
فتطلعُ دانيةً كقطوفِ الثمرِ
قصيدةٌ روحي
على قارئ ساكنٍ في جروحي .

لَمَ الْهَمُّ يَا شَعْبُ! كوكبنا سارحُ ،
ومجرتنا تتلألأُ مثل عروس

من الزنج!
ما الهمّ يا شعب! هذا متاه
يليقُ بنا .

وما هذه الريحُ تدفعنا ،
سوى رغبةٍ لمتاهٍ سواه!

. ٣ / ١٠ / ٣

التلميذُ العاق

سنواتٌ جُزْنَ وهو بصفي

لي مثل الأشجار

تصفي لفصول السنة . معي

قطع التياز

للنبع . ولم يُمهلني حتى في القيلولة ،

يُملي عن فمي المتعب ما لا يفهم .

يكثرُ كمن يتكتم .

في يومٍ من أيام الشيخوخة ،

داهمني أزرق كالياقوت .

جرّدتني من عمّة راسي ،

ألقي في وجهي حبرَ دواتي ، ونشارة قرطاسي ،

وارتحل ، كمن مع قدرٍ موقوت!

سنوات جُزِنَ ولم تنقطع الأرجلُ عن داري
تعزيةً . كنتُ أجارهم
عن غيرِ رضا .
فانا ، مُذْ حطَمَ متكني
في ركني الأعزلِ ومضى ،
أبصرتُ على آثارِ خطاه
درباً للحكمةِ آخرَ ، غيرِ دواتي والقرطاس!

٠٣/١٠/٢٢

أريد أن أحييا بلا غاية

أريد أن أحييا بلا غاية ،
في هذه الفُضلةِ مما تبقى من سنيني الكثار .
أريد أن أسكن في مشهدٍ
من حلم اليقظة ، لا منتمٍ
إلى زمانٍ ، وفي
ثانيةٍ منه علاها الغبار ،
خرساءً ، لا تعلنُ عن ميتةٍ
أخرى ، وعن ولادةٍ
أخرى ... كفاني ، كفا ...

. ٣ / ١٠ / ٢٢

التاريخ

طبشورٌ أبيضٌ بين أصابعِ أستاذ ،
يتلاشى في أرقام فوق اللوح الأسود .

٢٠٠٣/١٢

السحلية

ودخلت سحلية الرمال بيتي .
مدخلُ السّحال مكفولٌ ، فبيتي
آخرُ استراحةِ الرسولِ .

قطعتُ إنشادي على الفراغ ،
ورحتُ أصغي لخطا السحلية المملاة
من شفة الغيبِ : "أنا السحلاة ،
مذُ نغد السم بجسمي ، أوهنت جسمي التنهداتُ!

الشعراءُ بلغوا مشارفَ الضوء ،
ومن مشارفِ الضوء سيسعون الى مشارفِ الكلام!" .

وأنت ، ما أعددتَ للرحلة غير عِدَّةِ الطعامِ
وهذه العكَّازِ ، والمشكاة؟

٠٤/١/٢٧

أسرى الدموع

١

تعالَ أهددُ معنى انشغالي

لخمسٍ وعشرين :

بالرأس ، لم يتجرأ على دورة الأرض؟

أو يختبرُ وطناً غيرَ هذا المعلقِ في مخلبٍ؟

أم بهذا الجسدُ ،

يحاولُ في دمه آخرأ لا يجيبُ ، فما منُ أحد؟!

ولم أنشغل بالفضين ،

يزاحمُ نافذتي منذ خمسٍ وعشرين ،

يحملُ في لامبالاته جوهريين :

سماذ مضاجعنا في المكانِ ، ودورة هذي الفصول!

كأنني ، إذا أمطرت ، أشتكيه جفافاً فمي ،
أو صفت ، أشتكيه الفضول!
كأصداء مجرى من الشرقِ صفحته ، وهي تقطرُ
أو شفةٍ دبُّ فيها جفافُ الكلام ، فماذا تقول!

سأكتبُ عنه القصيدةَ يوماً ،
وأجرؤ أن أضعَ اللحن .

هذا الزمانُ ، تفادياً لمصابه
أرخيتَ حبلَ الوصلِ مع أصحابه

في عزلةٍ أرضيتَ فيها راهباً
يحتالُ فيك على عفافِ ثيابه

وخلُصتَ ، في كأسٍ ، لبيتِ آمنٍ
كم شقَّ مدخله على طلابه

أسرى الدموعِ سرّوا إليه محجّةً ،
فإذا التقوا سجدوا على أعتابه!

وقد بلغت بي الثلاثون ستين عاماً!

وأحسب أنني ،
بعمر الثلاثين ، أقطع شوطاً إلى ما أريدُ .
ولا يفهم الناسُ أمري ، فيحتسبون .
وأنسج حياً
كعاصفة الثلج لامرأةٍ تنسج الشعرَ كالقشعريرة .

أقول لأمي التي ولدتني بفعلِ التلاقحِ :
إني وريثُ أبٍ منك لم يفترشك!
فتعجبُ مما جنت يدها . غير أنني
أراها على غير ما يرتضي إخوتي :
سليماً لبلوغِ الغيابِ .
لأنني أعللُ شعري بما ليس فيه ،
وقارئ شعري بما يرتثيه ،
إذا هو أمسك عن شاغل ، واكتفى .

ولكنني والثلاثين قوسٍ ونشأبه لم يصب هدفا .
دخلتُ احترابَ توارِيخِهِم : هتفوا باسمهم ،
وارتضوا لعدوهم سمةَ الخاسرين!
كأني حسمتُ احترابي مع النفس!
هذا أواني ،
وقد بلغتُ بي الثلاثون ستينَ عاما!
كما يتقاطرُ رملُ الثواني!
سأعشق امرأةً أتوهمها تنسجُ الشعرَ كالقشعريرة ،
وأرتادها كجزيرة ،
وأفنى هياما .

يطوف بي الشعرُ خارجَ مرماكمُ ، يا سعاةُ .
أنا ، واحترابي مع النفسِ . لا ما تعافُ الحياةُ .

٤/٢/٢٦ .

ساعود غداً

سأعودُ غداً ، أو بعد غد
وأعيد السمكَ من الحوض الراكد
لمياه التيّار ،
وغنائيَ في منفايَ الى الخمارِ
: "ياخمارُ"
عَرَبِيّ من وطأةِ ذاكرتي ، عَرَبِيّ الفتیانُ
من وطأةِ موتاهم!"

ما أطولَ دربَ العودةِ يا بغدادُ؟
ما أعمقَ رائحةِ الجلاذِ
بينَ غضونك؟
ما أطولها سنوأتُ المنفى من دونك؟
طمعني ربع القرن بأن أخلق بديلاً عنك

فهلَ رمادُ

من رأسي .

ثم ألفتُ رسولك ، طارقَ بابي في منتصف الليل؟

ذاكرتي قطعت حبلَ الوصل مع الزمن العابر ،

وانتبتذت بيتاً في "مرتفع التل" :

لا يرقى الطيرُ إليها ، أو ينحدرُ السيلُ .

ستكون وسيطي ، حين أعود ،

وأنيسي ، حين يضيقُ على عنقي

حبلُ الحاضر .

٢٠٠٤/٣/٩

الحفل

أقول للذين عززوا الخطى لغدهم
كمن يعزّز الخطى لبيته الأمين :
الشعر لا يقترح المدينة المثلى .

كأنني أعددتُ ،
منذُ قادمي الشعرُ الى مزارعِ القتلى ،
حفاً دعوتُ فيه سادةَ اليقين .

على مدى الأفقِ أرى دورةَ راقصينُ
سوداء ، في انحناءة المنجل ساعة الحصاد .

٢٦ / ٣ / ٠٤

المدينة الغائبة

(بعد أغادير)

١

كأنني أدخل في المدينة الغائبة
مدينة وطأتها ، فعادني صوتُ أبي العلاء :
"أرخَ عظامَ أهلك القتلى !
أرخَ عظامَ أهلك القتلى !"
وكنت مأخوذاً بما يرجع من مراكبِ الصيد
من الأصداء ،
والسّمكِ الحيّ ، الذي سرعان ما يُقلى :
"اللحم لابنِ آدم ، وفُضلةُ العظام
للقطط السائبة !"

كأنتي أدخلُ في المدينةِ الغائبةِ ،
أقفزُ من لائحةِ السواحِ في مرسى أغادير ،
وأعدو .
كم على الانسان أن يعدو كي يفقدَ ظلَّهُ؟
وكم عليه أن يُحبَّ
كي يعيدَ سحنةَ الرضا الى الشتاء؟
وكم عليه أن يخفِّفَ الوطأَ لكي يُرضي أبا العلاء؟
كأنتي أقفزُ من مراقدِ الموتى على الميناءِ!

منذُ صبا ١٩٦٠

أصابني الصدعُ الذي حلَّ بهذي الأرضُ
مذُ حلَّ بي الشعرُ، الذي أيقضني من حلمي المكتظُ

بالوهم ، ثم قادني لموطن السريرة .
وقالَ : إنَّ من رحي السريرة العمياءُ
تنبعثُ الهزةُ : أحياءُ الى موتى ، وأمواتٌ الى أحياءُ

يا وطني الغائمَ خلفِ الماءِ والنخيلِ
وخلفِ هذا الشبحِ المخمورِ
بالقتلِ ، والقاتلِ ، والقتيلِ
ويا شبيهي ، كم على الرحي تدورُ ،

تبعث بي جمعجة الشعر ، وفيك زحمة القبور؟!
وليس من بديل
يا وطني الغائم خلف الماء والنخيل .

خذي يديّ ، فيهما مرسىّ لأوهامك يا خديجة
 وجسدي ، مرقد أحيائك
 واصفي الى الرحي تدورُ في كليتنا :
 جسدي المحتلُّ
 بالشعر ، يسعى في الضلالِ أشعثَ الشعر ،
 وهذا التلُّ
 يبلغُ ساحلَ الأمانِ
 في لحظةٍ غافلةٍ من الزمانِ .

٢٠٠٤/٥/١٤

مباهج

ما الليلُ غيرُ غفلةِ الشمسِ! أمّ النهار
غفلةُ كونِ ضاربِ العتمة؟!
وكيف ورّعتُ حياتي بين غفتين ،
وظفتُ مثل عقربِ الساعة دورتين
في اليوم؟ واحتلتُ على النفس بما سمّيته الوقت؟!!

وفي النهارِ اللندني المشمس ،
وحين تحلّو لي قراءةُ الشاعر لوكریتوس في
حديقة البيت ،
وارتمي ، أنا وكأسي ، وكتابُ الشعرِ فوق العشب ،
ينتأبني ذاتُ السؤال :
هل حياتي غفلةً في الموت؟
أم موتي ، الشاخصُ فزاعةً

للطيرِ في الركنِ القصي ، غفلةُ الحياة؟
أم أن وهمي غرقى الوشيك؟
أم أنه ، في غمرة الطوفان ، قاربُ النجاة؟

٢٠٠٤/٦/١٦

القصائد

- 5 الذنب
- 7 ورق مدعوك لقصائد لم تنجز
- 9 ضغائن الناس
- 11 آخر الفجر
- 15 لا تعد النفس
- 17 تمضي الرسائل
- 19 قد يعبر جندي
- 21 في القبو المعتم
- 23 ليلة عرس
- 25 قارئ في الظلام
- 27 تراكمت على ردائي
- 29 الدورة الدامية
- 31 خلوة ١

33	رأيت مدينتي
35	خلوة ٢
37	نديم الجليل
39	مغامرة
41	الى بدر شاكر السياب
43	رسم الحصري
45	في انتظار الأعداء
47	الغزاة
49	في المحطة
51	العودة
53	الإقامة
55	محترف الأنفاق
57	بقالية الرسائل المنسية
59	رائحة التوت
61	رؤيا داود البلوة
65	عند باب غاردينيا
67	الرأس ملاذ الطير
69	لمّ الهمّ يا شعب

71	التلميذ العاق
73	أريد أن أحييا بلا غاية
75	التاريخ
77	السحلية
79	أسرى الدموع
83	وقد بلغت بي الثلاثون ستين عاما
85	سأعود غدا
87	الحفل
89	المدينة الغائبة
95	مباهج

للمؤلف

شعر:

حيث تبدأ الأشياء

أرفع يدي احتجاجاً

جنون من حجر

عثرات الطائر

لا نورث الأرض

مكائد آدم

قارات الأوبئة (ترجمها الى الفرنسية سعيد فرحان تحت

عنوان Continent de douleurs)

قصائد مختارة (القاهرة)

كواسيمودو- قصائد مختارة

الأعمال الشعرية في جزأين

السنوات اللقطة

ثر:

من الغربية حتى وعي الغربية

أدمون صبري

مدينة النحاس

ثياب الأمبراطور

الفضائل الموسيقية

العودة الى غاردينيا

يوميات نهاية الكابوس

أنا شاعرٌ ،
وإذا كنتُ ، من يختبر قدرتي
في احتمال الخسارة واليأس؟
تضحيتي حفةً من قصائد أندب موتاي فيها .
وعلى كاهلي يقفُ النسْرُ أحذبَ ،
أوهنه الطيرانُ بلا هدفٍ .

al-mada baghdad



20333